## رثاء الأمير الوالد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني

شعر: الدكتور حجر أحمد البوطامي البنعلي

نَعَوكَ يا صاحِبي والصَّحبُ قد بانوا ... ضجّت لفقدِكَ أوطانٌ وأكوانُ[1]

نَعوكَ يا حَمَدٌ والنَّعيُ يَحزُنُني ... فالقَلبُ تَعصرُهُ بالفَقدِ أحزانُ

قد كان حالُكَ قبلَ الموتِ يؤلِمُني ... وأنتَ في غَفوَةٍ والدّاءُ يَقظانُ

صَبَرتُ حتى بَدا دَمعي يُغرّقُني ... والقلبُ يَغمُرهُ سَأمٌ وأشجانُ

عَليلُ فقدِكَ في حُزنٍ وفي ألمٍ ... فكيفَ تُغمضُ لي في الليلِ أجفانُ

أبكيكَ شَيخًا تَوارى في الثرى جسدًا ... ذِكراهُ فَضلٌ وإحسانٌ وعِرفانُ

بكَيتُ ثمَّ بَكَى شِعري لفُرقَتِهِ ... مِثلي بَكَت لِفراقِ الشَّيخِ أوطانُ

للهِ كم حَزَّ في أحشائِنا ألمٌ ... أضنى الفُؤادَ ودَمعُ العينِ هَتّانُ

أقولُ وا أسَفي والدَّمعُ مُنهَمِرٌ ... كَأَنَّمَا الدَّمْعُ فوقَ الخدِّ طُوفَانُ

يُعينُني الدَّمعُ في التَّخفيفِ عَن أَلَمٍ ... والدَّمعُ عَونٌ لِمَن في المَوتِ حَيرانُ

بَكى المُحِبُّونَ فانهَلَّت مَدامِعُهم ... كأنَّما ثارَ في الأحشاءِ بُركانُ

مضى إلى الخُلدِ عَن دُنيايَ مُبتعدًا ... فضَمَّه في جِنانِ الخُلدِ رِضوانُ[2]

فَقَدتُ شَيخي وحُزنِي لا يفارِقُني ... ما لي عن الشَّيخِ يا رَبَّاهُ سُلوانُ

أُحِسُّ بالحُزنِ في الأحشاءِ يَحرِقُني ... والحُزنُ في القَلبِ يا وَيلاهُ نِيرانُ

قد زادَ حُزنِيَ فَقدٌ لا رُجُوعَ لَهُ ... فالقَلبُ يَبكي وجَفنُ العَينِ مَلآنُ

هذي الرَّزِيَّةُ عَمَّت كُلَّ مَوطِننا ... فما لها بينَ أهلِ الدارِ نِسيانُ

أرزاءُ فَقدِكَ لِلأهلينَ قاسيَةٌ ... والشَّعبُ أزرَى بِهِ فَقدٌ وخُسرانُ

قد شيَّعَتكَ شُيوخُ الدَّارِ قاطِبةً ... والشَّعبُ شَيَّعَ؛ شُبَّانٌ وشِيبانُ

أَلَمَّ بالدَّارِ خَطبٌ لا مَرَدَّ لَهُ ... فجلَّلَ الدارَ أتراحٌ وأحزانُ

والآنَ لمَّا مَضى أصبَحتُ مُضطَرِبًا ... أصارِعُ الحُزنَ، ما للحُزنِ كِتمانُ

مَضى إلى اللهِ والأكتافُ تحمِلُهُ ... وضَمَّهُ في رحابِ القَبرِ أكفانُ

قد ضَمَّهُ القَبرُ والأحبابُ تَفقِدُهُ هل يا إلهيْ بيومِ الحَشرِ لُقيانُ؟

***

كَمْ فارقتنيَ أصحابٌ وخِلّانُ أصحابُ عِلمٍ وآدابٍ، وأعيانُ

كَمْ غَيّبَ الدَّهرُ أصحابًا سَعِدتُ بِهم لم يَبقَ لي بعَدَهمْ يا رَبُّ سُلوانُ

ما للمنايا على الأحبابِ داهِمَةٌ لم ينجُ من بطشِها في الأرضِ إنسانُ

فجائعُ الدَّهرِ دوَّت في مَسامِعنا والقلبُ يخفقُ والإنسانُ حَيرانُ

قد حِرتُ في الدَّهرِ؛ كُلُّ العُمرِ مُنقَلِبٌ في كُلِّ يومٍ لهُ في شأنِنا شانُ

أضفَى عليَّ سِماتِ الشَّيبِ يُنذِرُني بالعَجزِ والحَينِ، إنَّ الدَّهرَ سُلطانُ[٣]

لم يبقَ لي في الدُّنا يا ربُّ من أرَبٍ كلُّ الحياةِ خساراتٌ وأشجانُ[٤]

هذي الحياةُ مَلَلنا شَرَّ قَسوَتِها فكلُّها ألمٌ إنْ حلَّ فُقدانُ

***

شيخُ الشُّيوخِ أميرُ الدَّارِ أَنتَ لَنا تَرعى الدِّيارَ ولِلأهلينَ مِعوانُ

الحُكمُ عندَكَ مَعروفٌ بحزمِكمُ وعَدلُ عَهدِكَ للحُكَّامِ مِيزانُ

قد طابَ ذِكرُكَ بينَ النّاسِ أجمَعِهم وزانَ ذِكرَكَ إيمانٌ وإحسانُ

طابت محاسنُكم للنّاسِ في بلدي ما كانَ في طبعِكم ظلمٌ وعدوانُ

شيخٌ مُحِبٌّ لأهلِ الدَّارِ كلّهمُ ما في خَصائِلِهِ عَيبٌ ونُقصانُ

كنتَ الأميرَ عزيزَ النّاسِ في وطني وهُمْ بحُبّكَ قد عَزُّوا وما هانوا

عمَّرتَ في الدَّارِ واستحدثتَ أنظِمَةً أنَّى نَظرتُ فبُنيانٌ وعُمرانُ

تواضُعُ الشَّيخِ بين الناسِ مُشتَهِرٌ والصِّدقُ والعَدلُ عند الشيخِ أقرانُ

مُستمكِنُ الرأيِ مَعروفٌ بفِطنَتِهِ يَرعى الدِّيارَ وللأوطانِ يَقظانُ

قد فاقَ حاتِمَ طيّ في مكارِمِهِ وهمُّهُ لِعَمارِ الدَّارِ إنسانُ

فَضلُ الأميرِ علينا أنَّ شِيمَتَهُ جُودٌ وحِلمٌ وإحسانٌ وتَحنانُ

وكم أعنتَ يتيمَ الدّارِ تُسعِفُهُ وليسَ مثلَكَ في الحكَّامِ مِعوانُ

لبّيتَ لـي طَلَبًا لـدارِ تُنشِئُهُ طِبّي وقَلبي لِمَشـفى القَلبِ ظَمآنُ[٥]
قد كانَ حُلمي لطِبِّ القَلبِ في وَطني فالصَّرحُ يا شَيخُ للإنسانِ إحسانُ[٦]
أحسنتَ للنَّاسِ في إنشـائِهِ لَهمُ مَشفى القُلوبِ لِحُبِّ النّاسِ بُرهانُ

***

رافقتُكم قَبل أن تُضحِي الأميرَ لنا وليُّ عَهدٍ لِخيرِ الدَّارِ يَقـظانُ
لم أنسَ يا شَيخُ أيَّامًا لَعِبتَ مَعي بمِضرَبٍ كُرَةً، ما حَلَّ نِسـيانُ
وكنتَ تضربُ بالكفّينِ في عَجلٍ كلاهما عندكم يـا شيخُ سِيّانُ
سِرنا جنوبًا تَصيدُ الطيرَ في قَنَصٍ كلُّ الدُّروبِ بها رَمـلٌ وكُثبانُ
زمانُ أُنسٍ قُبيلَ الشَّيبِ يَصرَعُني وأنتَ في صِحَّةٍ والوَجهُ جَذلانُ
كم كنتُ أفـرحُ إذ رافقتُكمْ زَمَنًا في البرِّ والبَحرِ أَصحابٌ وخِلّانُ
وكم رَحَلنا بـ(فتحِ الخيرِ) في دَعَةٍ في البحرِ حُوتٌ وفي حـالولَ غِزلانُ[٧]
وكانَ حَولَكَ أصحابٌ أقدِّرُهم وفي محبّتِهم صِدقٌ وعِرفانُ
فيكَ التّواضعُ للإنسانِ أعرِفُهُ وكُلُّ أبنائِكم للنَّـاسِ إخوانُ
إنّي لأذكُرُ فَضلَ الشَّـيخِ يَغمُرُني هل يُنكِرُ الفضلَ، فضلَ الشَّيخِ، إنسانُ؟

***

لأمرِ رَبّي إذا ما شاءَ إذعانُ قَضى بذلكَ إسـلامٌ وإيمانُ
يا والدًا لأميرِ الدَّارِ كُنتَ لَنا نِعمَ الأميرُ فلَنْ تَنسـاكَ أوطانُ
أميرُنا الأبُّ ما شابَت ملامِحُهُ وشابَ للصّحبِ قبلَ الشيـخِ أذقانُ
عَزَّيتُ نَفسيْ كما عَزَّيتُ نجلَكمُ أميرُنا الشَّهمُ لابنِ الدَّارِ مِعـوانُ
تميمُ يَخلُفُكم نِعمَ الأميرُ لَنا أنتمْ ونجلُكُمُ للدَّارِ صِنوانُ[٨]
عَزَّيتُ أهلَكَ فـي حُزنٍ وفي أَلَمٍ والكُلُّ في أسَفٍ تَصلِيهِ أحزانُ؟
أرجو العَزاءَ لأهلِ الشيخِ كُلِّهِمُ وَآلِ ثاني، وَرَبُ العَرشِ رَحمنُ

***

الموتُ حَقٌّ ولكنْ فيهِ أشـجانُ تَصلي القلـوبَ ودَمـعُ العَينِ هَتَّانُ

إن حانَ موتٌ فما في الطِّبِّ مُعجزَةٌ ... فالطِبُّ في الموتِ حَتّى اليومِ حَيرانُ

فالحَينُ يأتي على حُكمِ القَضاءِ لَنا ... وللقَضاءِ بأمرِ اللهِ إذعانُ

يا قومُ صبرًا على ما حلَّ من قدَرٍ ... سبحانَ ربّي لهُ في خَلقهِ شانُ

آمنتُ باللهِ لم أُنكرْ إرادَتَهُ ... كما أبانَ لنا دِينٌ وقرآنُ

أثَارَ في النَّفسِ أشجانًا مُؤرِّقَةً ... قد تُهلِكُ المَرءَ أحزانٌ وأشجانُ

أرادَ لي الشَّيبُ تَركَ الشِّعرِ أهجرُهُ ... لكنّهُ الخَطبُ للأشعارِ سُلطانُ

بدأتُ أَرثي وحُزنُ الشِّعرِ يدفعُني ... فسالَ دَمعي ولم تَكتُمهُ أجفانُ

تَهمي قَوافي الرِّثا لو شئتُ أَنظُمُها ... لكانَ لي في رِثاكَ اليومَ دَيوانُ

فالشعرُ ينبُعُ من قَلبي ومِن ألَمي ... وما أعانَ على الأشعارِ شَيطانُ

يا بنَ الخليفةِ أرثِي فيكَ صُحبَتَنا ... فمَجدُ عهدِكَ لن يَنساهُ إنسانُ

قد طابَ ذِكرُ أبيكَ الشيخِ والدِنا ... عزَّيتُكم فيهِ لمَّا حَلَّ فُقدانُ

كم قد رَعاني فلا أنسى فضائِلهُ ... وفضلَكم يا سَليلَ المَجدِ سِيّانُ

كلُّ اِبنِ أُنثى إلى الأجداثِ مُرتَحِلٌ ... والقَلبُ تَملَؤُه بالفَقدِ أحزانُ

يا رَبِّ أَنزِلْ جِنانَ الخُلدِ صاحِبَنا ... لنا بعدلِكَ يا ربَّاهُ إيمانُ

وارحم أبا مِشعَلٍ يا مَن يُجيبُ دُعًا ... واغفر لهُ، أنتَ غَفَّارٌ ورَحمنُ

٢٠٢٦-٧-١٢

**الشرح:**

١. بانوا: رحلوا وابتعدوا.

٢. رِضوان: اسم خازن الجنّة.

٣. الحَين: الهلاك.

٤. الدُّنا: جمع دُنيا.

٥. لبيت لي طلبًا: طلب الشاعر من الشيخ إنشاء مستشفى للقلب في قطر.

٦. الصرح: مستشفى القلب.

٧. فتح الخير: يخت الشيخ حمد للرحلات البحرية في قطر، حالول: جزيرة قطرية، أطلقت الدولة فيها غزلانًا تحت رعايتها.

٨. صِنوان: مثنى صنو: وهو المثيل والنظير.